النبيّ الاكرم صلّي الله عليه وآله وسلّم كان حريصاً على هداية الناس

<"xml encoding="UTF-8?>

قال تبارك وتعالى في نبيّه الاكرم، مخاطباً الناس:
لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عليهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. [1]
وهل يمكن الحرص على هداية الناس بدون اتّباعهم أحداً ؟ وهل الإطاعة والاقتداء متيسّران بدون رئاسة ولزوم المتابعة ؟ ومن هذا المنطلق، كان المشركون والكافرون يؤذون النبيّ ويتهكّمون به ويتّهمونه. ذلك أنَّ النبوّة تستلزم الرئاسة . فكانوا يرون أنَّ رئاسة النبيّ تهدّد مناصبهم وتنغّص عليهم حياتهم . فلهذا كانوا ينكرون نبوّته حفظاً لرئاستهم التي تتعارض مع رئاسة النبيّ، وإطاحةً برئاسة النبيّ نفسه.
أمّا النبيّ الرحيم فقد كان دائم الحرص على إخراج هؤلاء المساكين من ربقة أفكارهم الجاهليّة، وآدابهم وعاداتهم البهيميّة . لم يكن له ليل ونهار؛ ولم يسترح لحظة واحدة، كان يتضوّر جوعاً وعطشاً، ويشدّ حجر المجاعة على بطنه . وكان دائماً موجوداً في ميادين القتال وأقرب المسلمين إلى العدوّ . وهاجر إلى الطائف لشدّة العنف والاذي والعذاب الذي لاقاه بمكّة . ولم يستقبلوه هناك، فقفل راجعاً إلى مكّة خائباً حيث لميؤويه أحد فيها، إذ كانوا كلّهم أعداءه، ومصمّمون بأجمعهم على قتله وسفكدمه ؛ فاضطرّ إلى الاحتماء بأحد المشركين . وقضي في شعب أبي طالب ثلاث سنين سجيناً معذّباً ومعه بنو هاشم وبعض المسلمين، حيث حرّموا عليهم الطعام، وحظروا الزواج والتعامل معهم . وكان صراخ جوع الاطفال يصل إلى مكّة ليلاً والمشركون يسمعون إلى أن اضطرّ للهجرة هارباً من مكّة . ومكث في غار ثور ثلاثة أيّام كي لا يتمكّن المشركون أن يتقصّوا طريقه . ووحده أمير المؤمنين رجل الساحة الذي سار على هديه في الحرص على إيمان الناس، وقدّم نفسه بكلّ إخلاص قرباناً للّه، ورقد في فراش النبيّ مطمئنّاً .
ومن الواضح أنَّ هذه المشاكل كلّها، وهذه المعاناة والمقاسات كانت دعوة إلى الرئاسة، أي: وجوب طاعة الناس طاعة مطلقة لأُولئك الاشخاص. أمّا الرئاسة الإلهيّة والمعنويّة فحليفتها الهموم، وقرينها التشرّد، ولاتعني الجلوس على العرش ورفع تاج الاستكبار، واستعباد الناس الابرياء، وجرّهم ليكونوا تحت مطرقة الطغاة.
ز عشق تا به صبوري هزار فرسنگ است [2]
إنَّ مؤاخذة عمر أميرَ المؤمنين عليه السلام بحرصه على الرئاسة تتمثّل في الرئاسة بمنظاره الضيّق والمظلم . لقد قاس ذلك على نفسه وممارساته، ناسياً الوصايا والتأكيدات والآيات القرآنيّة، وباع ذلك كلّه بثمن بخس من أجل

الرئاسة، بيد أنَّ منظار أمير المؤمنين عليه السلام للرئاسة شيء آخر، ويشغل أُفقها مساحة شاسعة لا تجد الاهواء إليها سبيلاً.

كار پاكان را قياس از خود مگير گر چه باشد در نوشتن شير شير [3]

لو كان أمير المؤمنين عليه السلام طالب لرئاسة غير إلهيّة، لامتشق حسامه منذ إليوم الذي قبض فيه رسول الله صلّي الله عليه وآله وأخذ حقّه بقمع المتآمرين وتأديبهم . وكان قادراً على ذلك، بيد أنّه لمّا رأي الخطر محدقاً بالإسلام ، تنازل عن تلك الرئاسة، عاضّاً على الالم، متدرّعاً بالصبر، وفي عينه قذي، وفي حلقه شجي .

ونقل ابن أبي الحديد: لمّا اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان [إلى المدينة] وهو يقول: أَمَا وَاللَهِ إنِّي لاَرَي عَجَاجَةً لاَيُطْفِئُهَا إلاَّ الدَّمُ ؛ يَا لِعَبْدِ مَنَافٍ ! فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَمْرِكُمْ؟! أَيْنَ المُسْتَضْعَفَانِ؟ أَيْنَ الاَذَلاَّنِ ؟ ـيعني علياً والعبّاس ـ مَا بَالُ هَذَا فِي أَقَلِّ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ؟

ثمّ قال لعلىّ [عليه السلام]: ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَوَاللَهِ إنْ شِئْتَ لاَمْلاَنَّهَا على أَبِي فُضَيْلٍ ـيعني أبا بكر ـ خَيْلاً وَرَجِلاً ! فَامْتَنَعَ علىٌّ عليهِ السَّلاَمُ. فَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُ قَامَ عَنْهُ وَهُوَ يُنْشِدُ شِعْرَ المُتَلَمِّسِ:

وَلاَ يُقِيمُ على ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إلاَّ الاَذَلاَّنِ غَيْرُ الحَيِّ وَالوَتَدُ

هَذَا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلاَ يَرْثِي لَهُ أَحَدُ [4]

ونقل الطبريّ، وابن الاثير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام زجر أبا سفيان، وقال له: إنَّكَ وَاللَهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إلاَّ الفِتْنَةَ! وَإنَّكَ وَاللَهِ طَالَمَا بَغِيتَ لِلإسْلاَمِ شَرَّاً ! لاَ حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ! [5]

مضافاً إلى أبي سفيان، جاء العبّاس عمّ رسول الله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: جئت أُبايعك ؛ فقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول‌الله، فلايختلف عليك اثنان .

وقال ابن قتيبة الدينوريّ: قَالَ العَبَّاسُ لِعلىّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَاللَهُ وَجْهَهُ: ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَيُقَالُ: عَمُّ رَسُولِ اللَهِ بَايَع ابْنَ عَمِّ رَسُولِاللَهِ صَلَّياللَهُ عليهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ، وَيُبَايِعُكَ أَهْلُ بَيْتِكَ فَإنَّ هَذَا الاَمْرَ إذَا كَانَ لَمْ يُفلْ. فَقَالَ علىٌّ كَرَّمَ اللَهُ وَجْهَهُ: وَمَنْ يَطْلُبُ هَذَا الاَمْرَ غَيْرُنَا؟! [6]

وعلى الرغم من أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم أنَّ الخلافة والإمارة له لا لغيره، بيد أنّه تنازل عن حقّه المسلّم به إرضاءً للّه وعملاً بوصيّة رسول الله، وتفادياً لوقوع الفتنة والفساد، وحفظاً للإسلام الفتي من السقوط والتداعي.

وهذه هي حقيقة التنازل ونكران الذات، والتضحية والعبوديّة؛ وهذا هو مفاد الشهامة والشجاعة والمروءة والعظمة والكرامة ؛ وهذا هو معني الولاية والإشراف والرعاية . وهذه هي حقيقة السعة والإطلاق والتجرّد.

يقول ابن قتيبة: لمّا أُخذ علىّ كرّم الله وجهه إلى المسجد للبيعة، كان يقول:

أَنَا عَبْدُ اللَهِ وَأَخُو رَسُولِهِ . فَقِيلَ لَهُ: بَايِعْ أَبَا بَكْرٍ! فَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الاَمْرِ مِنْكُمْ ! لاَ أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَي لِي ! أَخَذْتُمْ هَذَا الاَمْرَ مِنَ الاَنْصَارِ؛ وَاحْتَجَجْتُمْ عليهِمْ بِالقَرَابَةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّياللَهُ عليهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ وَتَأْخُذُونَهُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ غَصْبَاً.

أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ لِلاَنْصَارِ أَنَّكُمْ أَوْلَي بِهَذَا الاَمْرِ مَنْهُمْ، لِمَا كَانَ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ؛ فَأَعْطُوكُمُ المَقَادَةَ، وَسَلَّمُوا إليكُمُ الإمَارَةَ ؟ وَأَنَا أَحْتَجُّ عليكُمْ بِمِثْلِ مَا احْتَجَجْتُمْ بِهِ على الاَنْصَارِ . نَحْنُ أَوْلَي بِرَسُولِ اللَهِ حَيَّاً وَمَيِّتَاً ؛ فَأَنْصِفُونَا إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ؛ وَإلاَّ فَبُوءُوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَقَالَ عُمَرُ: إنَّكَ لَسْتَ مَتْرُوكَاً حَتَّي تُبَايِعَ ! فَقَالَ لَهُ علىٌّ: احْلُبْ حَلْبَاً لَكَ شَطْرُهُ! وَاشْدُدْ لَهُ إليوْمَ أَمْرَهُ يَرْدُدْهُ عليكَ غَدَاً . ثُمَّ قَالَ: وَاللَهِ يَاعُمَرُ! لاَأَقْبَلُ قَوْلَكَ وَلاَ أُبَايِعُهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإنْ لَمْتُبَايِعْ فَلاَأُكْرِهَكَ! [7]

أجل، لا يغيب على المؤرّخين والباحثين في السير أنَّ ميرالمؤمنين عليه السلام لو كان قبل بيعة العبّاس وأبي سفيان، ورفع لواء المعارضة للسقيفة مع الثلّة التي كانت معه من المهاجرين والانصار وبني هاشم، فلاجرم كان يتسلّم مقاليد الاُمور، بيد أنَّ هذا العمل ما كان يتحقّق سلميّاً ونقيّاً من شوائب الفتنة وإراقة الدماء . ذلك أنَّ الطرف المقابل الذي يمثّل الحزب المعارض كان يعتزم التآمر، ولو نشبت نار المواجهة، لأُريقت الدماء، وقُتِلَ حفظة القرآن الذين كانوا يحفظونه في صدورهم؛ فلهذا تنازل أميرالمؤمنين عليه السلام عن حقّه الثابت والاكيد للّه وفي الله، وتجرّع الغصص والهموم لوجه الله، وتحمّل ما تحمّل من فقدان العزّ الظاهريّ، وكسر ضلع السيّدة الزهراء، ووفاتها مهضومة، ويُتم الاطفال، وغير ذلك، لئلاّ تذهب جهود النبيّ على امتداد ثلاث وعشرين سنة أدراج الرياح، ولاتستبدل الرئاسة الظاهريّة بالحقائق .

كلام أمير المؤمنين للعبّاس وأبي سفيان بعد وفاة رسول الله

ويستبين هدفه صلوات الله عليه مشرقاً من الخطبة التي ألقاها إبّان وفاة النبيّ الاعظم صلّي الله عليه وآله وسلّم، وذلك في جواب أبي سفيان والعبّاس اللذين دَعَواه إلى قبول بيعتهما له . قال عليه السلام فيها:

أَيُّهَا النَّاسُ ! شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ ! وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ! وَضَعُوا عَنْ تِيجَانِ المُفَاخَرَةِ ! أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ! هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا ! وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ .

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ على المُلْكِ ؛ وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ المَوْتِ؛ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي ؛ وَاللَهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ؛ بَلِ انْدَمَجْتُ على مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الاَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ. [8]

نري هنا أنَّ الإمام عليه السلام مع اندماجه على حكم مكنون وبحر عميق من العلم الإلهيّ، يشير إلى الحرص على الخلافة، الذي يتّهمه به ذوو الأُفق الضيّق، دون الالتفات إلى حقيقة ذلك .

الخطبة الشقشقيّة التي ألقاها أمير المؤمنين في أيّام خلافته

ونلحظه في الخطبة الشقشقيّة عندما ينقل الاحداث بشكل واضح، يقسم بالله الذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، إنَّ هدفه الوحيد من قبول الخلافة هو دفع الظلم، وقمع الظالمين، والنظر في شؤون المظلومين والفقراء والضعفاء والجياع، وإحقاق الحقوق المشروعة للناس، ويلوح من مضامين هذه الخطبة أنّه خطبها في أيّام خلافته بعد الاحداث التي جرت في عصر من سبقوه من الخلفاء الثلاثة:

أَمَا وَاللَهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَي ؛ يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلاَ يَرْقَي إِلَيَّ الطَّيْرُ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَأي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ على طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيْهَا الكَبِيْرُ، وَيَشِيبُ فِيْهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّي يَلْقَي رَبَّهُ ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ على هَاتَا أَحْجَي؛ فَصَبَرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذَيً وَفِي الحَلْقِ شَجَيً . أَرَي تُرَاثِي نَهْباً . حَتَّي مَضَي الاَوَّلُ لِسَبِيْلِهِ، فَأَدْلَي بِهَا إلى ابْنِ الخَطَّابِ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الاَعْشَي):

شَتَّانَ مَا يَوْمي على كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ـلَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَاـ فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلاَمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ.

فَصَبَرْتُ على طُوْلِ المُدَّةِ وَشِدَّةُ المِحْنَةِ حَتَّي إِذَا مَضَي لِسَبِيْلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ وَزَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ . فَيَا لِلَّهِ

وَلِلشُّورَي! مَتَي اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الاَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّي صِرْتُ أُقْرَنُ إلى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إذَا أَسَفُوا وَطِرْتُ إذَا طَارُوا .

فَصَغَي رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ. إلى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ نَافِجَاً حَضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ ؛ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالاَللَهِ خَضْمَةَ الإبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ . إلى أَنْ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عليهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبْعِ إلَيَّ، يَنْثَالُونَ عليَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّي لَقَدْ وُطِيَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ . فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالاَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَي وَقَسَطَ آخَرُونَ؛ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ اللَهِ حَيْثُ يَقُولُ:

تِلْكَ الدَّارُ الاْخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الاْرْضِ وَلاَفَسَادًا وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. [9]

بَلَي وَاللَهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعُوهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتْ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْلاَ حُضُورُ الحَاضِرِ، وَقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَهُ على العُلَمَاءِ أَنْ لاَيُقَارُّوا على كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَسَغَبِ مَظْلُومٍ لاَلْقَيْتُ حَبْلَهَا على غَارِبِهَا، وَلَسَقَبْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلاَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!

(قَالُوا) وَقَامَ إليهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إلى هَذَا المَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابَاً فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُمَا: يَا أَمِيَر المُؤْمِنِينَ لَوِ اطَّرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ ! فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا بْن عَبَّاسٍ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ!

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَ اللَهِ مَا أَسِفْتُ على كَلاَمٍ قَطُّ كَأَسَفِي على هَذَا الكَلاَمِ أَنْ لاَ يَكُونَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليهِ السَّلاَمُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ. [10]

كلام عمر حول لزوم الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد

إنَّ من الإشكالات التي أُثيرت حول خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام هو أنّها مدعاة لاجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد. فلهذا لايتسنّي ـبزعمهمـ لرسول الله وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام وهما من بيت واحد أن يجمعا بين النبوّة والخلافة . ولمّا كانت نبوّة النبيّ ثابتة، فليس لعليّ بن أبي طالب أن يتسلّم مقاليد الخلافة.

يقول ابن أبي الحديد: « وتعلّلت طائفة أُخري منهم بكراهيّة الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد يجفخون على الناس » .[11]

ونحن قمنا بالتنقيب في كتب التأريخ والحديث فوجدنا أنَّ جذور هذا الرأي نابتة في كلام أبي بكر وعمر . فهما أوّل من نطق بهذه الأُحدوثة. بينما هما أنفسهما احتجّا على الحباب بن المنذر في السقيفة بقربهما من رسولالله بعد أن تكلّم الحباب في فضل الانصار وشرفهم وأولويّتهم، ومع ذلك قالا: لا يعقل أن تكون النبوّة والخلافة في بيتين ؛ فحيثما كانت النبوّة، كانت الخلافة . وخطب الحباب بن المنذر في السقيفة فتحدّث عن أولويّة الانصار وأفضليّتهم بحضور بعض المهاجرين وأبي بكر، وأبي عبيدة الجرّاح، ومعاذ بن جبل، وجميع الانصار، ومنهم سعدبن عبادة رئيس الاوس، وبشير بن سعد رئيس الخزرج . وقال في آخر كلامه: فَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ نَصِيبَاً فِي هَذَا الاَمْرِ، وَإنْ أَبَي القَوْمُ فَمِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْهُمْ أَمِيرٌ.

فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: هَيْهَاتَ لاَ يَجْتَمِعُ سَيْفَانِ فِي غِمْدٍ وَاحِدٍ، وَإنَّهُ وَاللَهِ لاَيَرْضَي العَرَبُ أَنْ نُؤَمِّرَكُمْ وَنَبِيُّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ ؛ وَلَكِنَّ العَرَبَ لاَيَنْبَغِي أَنْ تُوَلِّيَ هَذَا الاَمْرَ إلاَّ مَنْ كَانَتِ النُّبُوَّةُ فِيهِمْ وَأُولُوا الاَمْرِ مِنْهُمْ.

لَنَا بِذَلِكَ على مَنْ خَالَفَنَا مِنَ العَرَبِ الحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ وَالسُّلْطَانُ المُبِينُ. مَنْ يُنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَمِيرَاثَهُ ـوَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُـ إلاَّ مُدْلٍ بِبَاطِلٍ، أَوْ مُتَجَانِفٍ لإثْمٍ، أَوْ مُتَوَرِّطٍ فِي هَلَكَةٍ! [12]

استدلّ عمر بهذا النحو على مرأي ومسمع من أبي بكر، وعلى هذا النهج لفت نظر الانصار إلى بيعة قريش التي

ينتسب إليها هو وأبو بكر معتبراً نفسه ورفيقه من أقرباء النبيّ وعشيرته . بينما نجد أنَّ عمر وأبا بكر أنفسهما عندما يتواجهان مع أمير المؤمنين عليه السلام ويقول لهما: لقد خنتما، واستدللتما بالشجرة، وأضعتما الثمرة، ودعوتما الناس إلى البيعة بالمكر والخديعة محتجّين بأنّكما شجرة رسول الله، ونحن ثمرة هذه الشجرة، ونحن أهل بيت رسول الله الذين أنزل الله فينا آية التطهير، ونزل علينا القرآن، يجيبان قائلين: لا تجتمع النبوّة والخلافة في مكان واحد، والعرب تكره اجتماعهما في بيت واحد .

ويضع أبو بكر أيضاً حديثاً في هذا المجال ينسبه إلى النبيّ، ويُشهد عليه عمر وأعوانه: أبا عبيدة، وسالماً مولي أبي حذيفة، ومعاذاً. أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَهِ، وَأُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَكْذِبُونَ على رَسُولِاللَهِ مُتَعَمِّدَاً؛ وَقَدْ قَالَ صَلَّي اللَهُ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَذَبَ علىَّ مُتَعَمِّدَاً فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ. [13]

ويذكر السيّد هاشم البحرانيّ نقلاً عن كتاب « سليم بن قيس الهلإلىّ » الذي يعتبر من الكتب المشهورة والموثّقة، ومن المصادر التأريخيّة التي ينقل عنها الكبار والموثّقون من أصحاب السير، يذكر في حديث كثير التفاصيل قصّة أخذ أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر في المسجد لبيعته ومحاججة الإمام ضدّه، ويقول: وكان علىّ عليه السلام مشغولاً في الكلام فقال: يا معاشر المسلمين والمهاجرين والانصار ! أنشدكم الله: أسمعتم رسولالله صلّي الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ كذا وكذا ؟! وفي غزوة تبوك كذا وكذا ؟!

فلم يدع [علىّ عليه السلام] شيئاً قاله رسول الله صلّي الله عليه وآله علانية للعامّة إلاّ ذكّرهم إيّاها . قالوا: اللهمّ نعم . فلمّا أن تخوّف أبو بكر أن تنصره الناس وأن يمنعوه منه، بادرهم فقال له:

كلّما قلتَ حقّ قد سمعناه بآذاننا وعرفناه ووعته قلوبنا؛ ولكن سمعت رسولالله يقول بعد هذا:

إنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اصْطَفَانَا اللَهُ تَعَالِى وَاخْتَارَ لَنَا الآخِرَةَ على الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللَهَ لَمْيَكُنْ لِيَجْمَعَ لَنَا أَهْلَ البَيْتِ النُّبُوَّةَ وَالخِلاَفَةَ.

فقال [أمير المؤمنين] علىّ عليه السلام [لابي بكر]: هل أحد من أصحاب رسولالله شهد هذه معك ؟! فقال عمر: صدق خليفة رسولالله؛ قد سمعته منه . وقال أبو عبيدة، وسالم مولي أبي حذيفة، ومعاذبن جبل: قد سمعنا ذلك من رسول الله، فقال: لهم علىّ: لقد وفيتم بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها في الكعبة: إن مات محمّد أو قتل لتزوون هذا الامر عنّا أهل البيت. [14]

ولا يمكن أن نجد راوياً لهذه الاحاديث الموضوعة التي يختلقونها ويرجعون إليها عندما يدانون غير أبي بكر الذي غصب فدكاً من السيّدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها واختلق هذا الحديث القائل: نَحْنُ مَعَاشِرَ الاَنْبِيَاءِ لاَنُوَرِّثُ دِرْهَماً وَلاَ دِيْنَارَاً ؛ مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ.

والحديث المفتري: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ، الذي يكذّب مضمونه سَنَدَهُ ونسبته إلى رسول الله.

ومن المصاديق الواضحة لذلك، هذا الحديث الموضوع القائلبعدم اجتماعالنبوّة والخلافة في بيت واحد، إذ اختلقوه ونسبوه إلى رسولالله على خلاف كتاب الله والاحاديث المتواترة والإجماع وحكم العقل.

جواب ابن عبّاس الصارم لعمر حول عدم الجمع بين النبوّة والخلافة

يقول الطبريّ في سيرة عمر ضمن نقل وقائع السنة الثالثة والعشرين من الهجرة: (في سفر عمر إلى الشام، واصطحابه كبار الصحابة وبينهم عبدالله‌بن عبّاس . علماً أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام استنكف عن الذهاب معه وردّ دعوته) عن رجل من ولد طلحة: عن ابن عبّاس، قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره ؛ فإنَّا لنسير ليلة، وقد دنوت منه، إذ ضرب مقدّم رحله بسوطه، وقال:

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللَهِ يُقْتَلُ أَحْمَدُ وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُوْنَهُ وَنُنَاضِلُ

وَنُسْلِمُهُ حَتَّي نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلاَئِلُ

(هذان البيتان لابي طالب عليه السلام الوالد الماجد للإمام عليّبن أبي طالب عليه السلام خاطب بهما كفّار قريش الذين كانوا ينوون قتل النبيّ صلّي الله عليه وآله وسلّم فأنشدهما لرسول الله صلّي الله عليه وآله) .

ثمّ قال أَسْتَغْفِرُ اللَهَ ؛ ثمّ سار فلم يتكلّم قليلاً، ثمّ قال:

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَي ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَكْسَي لِبُرْدِ الخَالِ [15] قَبْلَ ابْتِذَالِهِ وَأَعْطَي لِرَأْسِ السَّابِقِ المُتَجَرِّدِ

ثمّ قال: أَسْتَغْفِرُ اللَهَ، يا بن عبّاس ! ما منع علياً من الخروج معنا ؟ قلت: لاأدري. قال: يا بن عبّاس ! أبوك عمّ رسول الله صلّيالله عليه [وآله] وسلّم، وأنت ابن عمّه، فما منع قومكم منكم ؟! قلتُ: لاأدري. قال: لكنّي أدري ؛ يكرهون ولايتكم لهم . قلتُ: لِمَ، ونحن لهم كالخير ؟ قال: اللَهُمَّ غَفْرَاً، يُكْرَهُونَ أَنْ تَجْتَمِعَ فِيكُمُ النُّبُوَّةُ وَالخِلاَفَةُ فَيَكُونَ بَجَحَاً بَجَحَاً. [16]

لعلّكم تقولون: إنَّ أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكن أبا بكر أتي أحزم ماحضره. ولو جعلها بكم ما نفعكم مع قربكم، أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله:

إِذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عُيلاَنَ غَايَةً مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إليهَا يُسَوَّدُ

[يقول ابن عبّاس]: فأنشدته [هذه القصيدة]، وطلع الفجر . فقال: اقرأ سورة الواقعة؛ فقرأتها، ثمّ نزل فصلّي، وقرأ بالواقعة. [17]

وروي الطبريّ أيضاً عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: بينما عمربن الخطّاب وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر، قال بعضهم: فلان أشعر؛ وقال بعضهم: بل فلان أشعر ؛ قال: فأقبلت . فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها .

فقال عمر: مَن شاعر الشعراء يا بن عبّاس ؟ قال: فقلتُ: زُهَيْرُبْنُ أَبِي سُلْمَي فقال عمر: هلمّ من شعره ما نستدلّ به على ما ذكرت ! فقلتُ: امتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان، فقال:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سَنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الاَوْلاَدِ مَا وَلَدُوا

إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا جِنٌّ إِذَا فَزَعُوا مُرَزَّؤُونَ بَهَالِيلٌ إِذَا حَشَدُوا

مُحَسَّدُونَ على مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ لاَ يَنْزِعُ اللَهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

ولمّا سمع عمر هذه الابيات، قال: أحسن ؛ وما أعلم أحداً أولي بهذا الشعر من هذا الحيّ من بني هاشم، لفضل رسول الله صلّي الله عليه [وآله] وسلّم وقرابتهم منه.

[يقول ابن عبّاس]: فقلتُ: وفِّقت يا أمير المؤمنين، ولمتزل موفّقاً ! فقال [عمر]: يا بن عبّاس ! أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمّد ؟! فكرهت أن أُجيبه ؛ فلهذا قلتُ: إن لم أكن أدري، فأميرالمؤمنين يدريني !

فَقَالَ عُمَرُ: كَرِهُوا أَنْ تَجْمَعُوا لَكُمُ النُّبُوَّةَ وَالخِلاَفَةَ فَتَبَجَّحُوا على قَوْمِكُمْ بَجَحَاً بَجَحَاً ؛ فَاخْتَارَتْ قُرَيْشٌ لِاِنْفُسِهَا ؛ فَأَصَابَتْ وَوُفِّقَتْ.

[قال ابن عبّاس]: فقلتُ: يا أمير المؤمنين ! إن تأذن لي في الكلام، وتُمِط عنّي الغضب، تكلّمتُ . فقال عمر: تكلّم يا بن عبّاس ! فقلتُ: أمّا قولك ياأميرالمؤمنين: اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفّقت: فلو أنَّ قريشاً اختارت لانفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها، لكان الصواب بيدها غيرمردود ولامحمود. وأمّا قولك: إنَّ قريشاً كرهت أن تكون لنا النبوّة والخلافة، فإنَّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهيّة، فقال: ذَ ' لِكَ بِأَنـَهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ اللَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ. [18]

فقال عمر: هيهات ! والله يا بن عبّاس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرّك [19] عنها، فتزيل منزلتك منّي ! فقلتُ: وما هي ياأمير المؤمنين ؟! فإن كانت حقّاً، فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ! وإن كانت باطلاً، فمثلي أماط الباطل عن نفسه .

فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنَّما صرفوها عنّا حسداً وظلماً ! فقلتُ: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبيّن للجاهل والحليم ! وأمّا قولك: حسداً، فإنَّ إبليس حسد آدم ؛ فنحن ولده المحسودون !

فقال عمر: هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً ما يحول، وضغناً وغشّاً ما يزول ! فقلتُ: مهلاً يا أمير المؤمنين ! لاتصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغشّ ! فإنَّ قلب رسولالله صلّي الله عليه [وآله] وسلّم من قلوب بني هاشم !

فقال عمر: إليك عنّي يا بن عبّاس ! فقلتُ: أفعل . فلمّا ذهبت لاقوم، استحيا منّي، فقال: يا بن عبّاس، مكانك ! فو الله إنّي لراعٍ لحقّك، محبّ لما سرّك !

فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنَّ لي عليك حقّاً وعلى كلّ مسلم ! فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ . ثمّ قام عمر فمضي. [20]

والشاهد الآخر على ما نقول كلام ابن عبد ربّه القرطبيّ الاندلسيّ المتوفّي سنة 328 ه، قال فيه:

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَاشَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَوْمَاً فَقَالَ لِي: يَابْنَ عَبَّاسٍ! مَا يَمْنَعُ قَوْمَكُمْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ البَيْتِ خَاصَّةً ؟ قُلْتُ: لاأَدْرِي! قَالَ: لَكِنَّنِي أَدْرِي ؛ إِنَّكُمْ فَضَلْتُمُوهُمْ بِالنُّبُوَّةِ ؛ فَقَالُوا إِنْ فَضَلُوا بِالخِلاَفَةِ مَعَ النُّبُوَّةِ لَمْيُبْقُوا لَنَا شَيْئَاً ؛ وَإِنَّ أَفْضَلَ النَّصِيبَيْنِ بِأَيْدِيكُمْ، بَلْ مَا أَخَالُهَا إِلاَّ مُجْتَمِعَةً لَكُمْ وَإِنْ نَزَلَتْ على رَغْمِ أَنْفِ قُرَيْشٍ. [21]

وقال ابن خلدون عند بحثه في بداية دولة الشيعة: وفيما نقله أهل الآثار أنَّ عمر قال يوماً لابن عبّاس: إنَّ قومكم ـيعني قريشاًـ ما أرادوا أن يجمعوا لكم ـيعني بني هاشمـ بين النبوّة والخلافة فتحموا عليهم ! وأنَّ ابنعبّاس نكر ذلك وطلب من عمر إذنه في الكلام، فتكلّم بما غضب له. وظهر من محاورتهما أنّهم كانوا يعلمون أنَّ في نفوس أهل البيت شيئاً من أمر الخلافة والعدول عنهم بها. [22]

وقال جرجي زيدان: والظاهر من أقوال عمر وغيره في مواقف مختلفة أنّهم رأوا بني هاشم قد اعتزّوا بالنبوّة لانَّ النبيّ منهم، فلميستحسنوا أن يضيفوا إليها الخلافة. [23]

فهذه مستمسكات حول عدم الجمع بين النبوّة والخلافة في بني هاشم نقلناها عن لسان عمر وأبي بكر . وممّا نقلناه في هذا الكتاب حتّي الآن من كلامهم فإنَّ فساده واضح جدّاً، ونحن في غني عن ردّه مستقلاّ، بيد أنّا نتمسّك بالادلّة الاربعة: الكتاب، والسنّة، والعقل، والإجماع، من وحي أن يكون جوابه واضحاً بعينه .

أَمَّا الكَتَابُ: فقد رأينا أخيراً أنَّ بريدة الاسلميّ كان في الشام عندما غصب أبو بكر الخلافة . ولمّا رجع إلى المدينة، ورأي أبا بكر على رأس الاُمور، اعترض وقال له: ألم تكن قد سلّمت على علىّ بن أبي طالب بوصفه أميرالمؤمنين بأمر النبيّ ؟ ... ولمّا قيل له: لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد، قرأ هذه الآية في المسجد:

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاس على' مَآ ءَاتَـٰهُمُ اللَهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَ ' هِيمَ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا. [24]

يلاحظ في هذه الآية بوضوح أنَّ الله أتي إبراهيم الكتاب والحكمة، وهما يمثّلان النبوّة، وكذلك آتاهم الملك العظيم الذي يمثّل الخلافة والحكومة.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فقد روي أبو نعيم الإصفهانيّ بسنده عن حذيفة إليمانيّ أنّه قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَهِ أَلاَ تَسْتَخْلِفُ علياً ؟ قَالَ: إِنْ تُوَلُّوا علياً تَجِدُوهُ هَادِيَاً مَهْدِيَّاً يَسْلُكُ بِكُمُ الطَّرِيقَ المُسْتَقِيمَ. [25]

وكذلك روي أبو نعيم بسند آخر عن حذيفة أنّه قال: قَالَ رَسُولُاللَهِ صَلَّياللَهُ عليهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: إنْ تَسْتَخْلِفُوا علياً ـوَمَا أَرَاكُمْ فَاعلينَـ تَجِدُوهُ هَادِيَاً مَهْدِيَّاً يَحْمِلُكُمْ على المَحَجَّةِ البَيَضَاءِ. [26]

وجاء في الصحيحين (« صحيح البخاريّ » و « صحيح مسلم ») عن ابن‌عبّاس، قال: لَمَّا احْتَضَرَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّي اللَهُ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّي اللَهُ عليهِ: هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابَاً لاَ تَضِلُّونَ بَعْدَهُ . فَقَالَ عُمَرُ: إنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّياللَهُ عليهِ قَدْ غَلَبَ عليهِ الوَجَعُ ؛ وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَهِ! فَاخْتَلَفَ القَوْمُ وَاخْتَصَمُوا ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا إليهِ يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابَاً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: القَوْلُ مَا قَالَهُ عُمَرُ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ والاخْتِلاَفَ عِنْدَهُ عليهِ السَّلاَمُ قَالَ لَهُمْ: قُومُوا، فَقَامُوا. فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِاللَهِ صَلَّياللَهُ عليهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ. [27]

وجاء في بعض الروايات أنَّ عمر قال: لاَ تَأْتُوهُ بِشَيءٍ أو إنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ! [28]

وفي رواية عن ابن عبّاس جاء فيها: فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ: إنَّ نَبِيَّ اللَهِ لَيَهْجُرُ. [29]

ونحن نريد أن نثبت هنا أنَّ طلب الرسول الاعظم صلّياللّه عليه وآله الكتف والدواة في ساعة الاحتضار هو من أجل أن يكتب ويختم للمسلمين عهداً بخلافة أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب عليه السلام لاغير، لانّه مضافاً إلى النصوص الثابتة، مثل: آية الولاية، وحديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث الحقّ، وحديث المنزلة، وحديث السفينة، وحديث دعوة العشيرة الاقربين، وكثير من الاحاديث الأُخري التي بيّنت إمامة الإمام وخلافته على نحو إليقين، فإنَّ تلوّث الجوّ في المدينة نتيجة لوجود معارضي الولاية فيها كعمر، وأبي بكر، وأبي عبيدة الجرّاح، والمغيرةبن شعبة وأمثالهم، ممّا دعا إلى الترغيب في تجهيز جيش أُسامة، وجعل هؤلاء المذكورين في الجيش ليخلو الجوّ في المدينة منهم لاميرالمؤمنين عند موت النبيّ، وبسبب ما كان يستشرفه نور النبوّة وعلمها بالاضغان والاحقاد التي كانت تعتمل في صدور البعض، وأرهقت أميرالمؤمنين عليه السلام وأضنته ؛ وكذلك بسبب الاخبار التي كانت تتسرّب من بيت النبيّ إلى الخارج بواسطة حفصة وعائشة وحزبهما، ممّا أدّي إلى إباحة أسرار البيت النبويّ، وكانت قضيّة الولاية من أهمّ تلك الاسرار، إذ كان النبيّ يعلم بعزم المعارضين على المواجهة بكلّ قواهم، وكان النبيّ يريد أن يضبط الأُمور ويركّز الموضوع أكثر ويرفع الحواجز والعقبات، ولكن وبسبب إفشاء هذه الاسرار، حالوا دون تحرّك جيش أُسامة، وكانوا يؤجّلون كلّ يوم بمعاذير واهية، وتخلّف عمر وأبو بكر عن الجيش. ولمّا آخذهما النبيّ على ذلك، جاءا بأعذار تافهة.

فمن وحي هذه الاعراض كلّها، طلب النبيّ الاكرم في اللحظات الاخيرة من حياته الشريفة دواة وورقة بحضور جمع من الصحابة ليكتب لهم شيئاً إذا رعوه حقّ رعايته، فلن يضلّوا بعده أبداً . فقال عمر: غلبه الوجع، وإنَّه ليهجر، وحسبنا كتاب الله . ولمّا علا الضجيج واللغط، وارتفعت الاصوات في ذلك المجلس، قال صلّي الله عليه وآله: قوموا، لاينبغي عند نبيّ نزاع. [30]

وبالنظر إلى الموضوعات المتقدّمة، والالتفات إلى أنَّ الذين حالوا بين الرسول الاعظم وبين طلبه المتمثّل بعزمه على كتابة شيء يشهده الجميع ولن‌يضلّوا بعده، هم الذين أصابوا حظّاً من الحكومة في غد ذلك إليوم، بخاصّة وأنّهم اختاروا خليفتهم من غير أن يُطلِعوا أميرالمؤمنين وأصحابه وخاصّته وأقاربه من بني هاشم على ذلك، فهل يرتاب أحد في أنَّ قصد النبيّ الاكرم من الكتابة كان شيئاً آخر غير خلافة أميرالمؤمنين ؟

قصد عمر من نسبة الهجر إلى رسول الله إثارة اللغط والضجيج

وما هو القصد من قولهم: الرجل يهجر، وقولهم: غلبه الوجع ؟ إليس قصدهم من ذلك إثارة الجلبة والضجيج،

وصرف النبيّ عن عزمه ؟ وهل يتصوّر أحد أنّهم أرادوا المعني الحقيقيّ للهجر الناتج عن غلبة الوجع ؟

ذلك أنّه أوّلاً: مضافاً إلى أنَّ التأريخ لم ينقل أنَّ أحداً سمع من النبيّ الاكرم كلاماً اعتباطيّاً عابثاً طيلة فترة النبوّة وقبلها، فإنَّ أيّ مسلم لايستطيع ـفي ضوء الموازين الدينيّةـ أن ينسب إلى النبيّ الاعظم الذي ضمن الله تعإلى في القرآن الكريم عصمته وحفظه، هجراً وعبثاً.

وثانياً: لو كان القصد من هذا الكلام معناه الحقيقيّ والجادّ، فلامعني لقول عمر: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَهِ ؛ عِنْدَنَا كِتَابُ اللَهِ . وينبغي الاستدلال على هجر النبيّ بسبب الوجع، لا أنَّ وجود القرآن الكريم يغني عن كلام النبيّ.

وثالثاً: أنَّ كتاب الله هو الذي فرض طاعة النبيّ الاكرم صلّيالله عليه وآله على المسلمين، واعتبر كلامه كلام الله، وصرّح بعد خِيَرَة الناس حيال حكم الله ورسوله . فحجّيّة كتاب الله نفسها هي حجّيّة كلام رسول الله . ولا مجال لاحتمال الهجر فيه، وأنَّ نسبة الهجر إلى رسولالله لاتستهدف شيئاً في قاموس ذلك الصحابيّ غير إثارة الضجيج والضوضاء.

ورابعاً: لقد حدث مثل هذا الامر في المرض الذي مات فيه الخليفة الاوّل أبو بكر، وأوصي بخلافة عمر . وكان عثمان حاضراً عند أبي بكر، وكلّف من قبلة بكتابة الوصيّة . وكان قد أُغمي على أبي بكر أثناء الكتابة، ثمّ استفاق؛ ومع ذلك فلم ينسب الخليفة الثاني إليه الهجر الذي نسبه إلى رسولالله، بل اعتبر وصيّته نافذة، إذ جلس على كرسي الخلافة بعد موت أبيبكر، وتسلّم زمام الأُمور . فيستبين ـإذَنـ أنَّ ذلك الهجر المزعوم لميكن هجراً جدّيّاً يحول دون الإقرار والاعتراف والوصيّة، بل هو الهجر الذي تقوّله أصحابه لإثارة التشويش والاضطراب في مجلس الرسول الاعظم، وبالتإلى عزوف الرسول القائد صلّي الله عليه وآله عن الكتاب.

ونقرأ في حديث ابن عبّاس مع عمر الذي يدور حول الخلافة أنَّ عمر قال بصراحة: إنَّ قومكم (قريشاً) كرهوا أن تكون لكم الخلافة، فأقصوا علياً عنها.

ونقل ابن أبي الحديد وقائع هذا الحوار، وذكر أنَّ عمر قال لابن عبّاس: يَا بْنَ عَبَّاسٍ ! إنَّ أَوَّلَ مَنْ رَيَّثَكُمْ عَنْ هَذَا الاَمْرِ أَبُو بَكْرٍ ! إنَّ قَوْمَكُمْ كَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَكُمُ الخِلاَفَةَ وَالنُّبُوَّةَ. [31]

اعتراف عمر بأحقّيّة أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة

وروي ابن أبي الحديد أيضاً بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: مَرَّ عُمَرُ بِعلىٍّ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَسَلَّمَ، فَسَأَلاَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: بِيَنْبُعٍ، [32] قَالَ علىٌّ: أَفَلاَ نَصِلُ جَنَاحَكَ وَنَقُومُ مَعَكَ؟! فَقَالَ: بَلَي! فَقَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: قُمْ مَعَهُ . قَالَ: فَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ فِي أَصَابِعِي وَمَضَي، حَتَّي إذَا خَلَّفْنَا البَقِيعَ، قَالَ: يَا بْنَ عَبَّاسٍ، أَمَا وَاللَهِ أَنْ كَانَ صَاحِبُكَ هَذَا أَوْلَي النَّاسِ بِالاَمْرِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَهِ، إلاَّ أَنَّا خِفْنَاهُ على اثْنَتَيْنِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَجَاءَ بِمَنْطِقٍ لَمْ أَجِدْ بُدّاً مَعَهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُ، فَقُلْتُ: يَاأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! مَا هُمَا ؟! قَالَ: خَشِينَاهُ على حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَحُبِّهِ بَنِي عَبْدِالمُطَّلِبِ. [33]

وبعد أن استبان أنَّ عمر وأعوانه كانوا يقرّون بأنَّ علىّ بن أبي طالب كان أولي وأحقّ بالخلافة ؛ ففي ضوء الموازين الدينيّة، ينبغي الوقوف بوجه المتخلّف وإبعاده عن الساحة . وينبغي إرغامه على الحقّ، لا أن يُترَك الحقّ تطييباً لخاطره . ولو لم يكن أُولئك المنتخبون للخلافة هم أنفسهم من أقطاب المعارضة ضدّ علىّ بن أبي طالب، لكان واجبهم الشرعيّ والعقليّ بعد وفاة الرسول الاعظم التشمير عن ساعد الجدّ والتأهّب عن الحقّ وإرجاعه إلى أهله، والانضواء تحت راية علىّ عليه السلام طوعاً . فهذا هو الصراط السوي . لا أنّهم، مضافاً إلى عدم إرجاعهم الحقّ إلى أهله، يتواطؤون مع قريش، ويتكتّلون ضدّ الإمام، ويشغلون منصبه عنوة، ويقسرونه على بيعة رجل لم يؤمنوا بكفإته وكانت بيعته فلتة [34]، ويكسرون ضلع الزهراء إمضاءً لقريش وجذباً لقلوبهم، ويضرب قنفذ غلام أبي بكر

عضدها بأمر عمر ضرباً ترك أثره كالدمّل حتّي وفاتها !

وأشخص أبو بكر عمر وخالد بن الوليد إلى دار الإمام لجلبه، وأمرهما أن لو تعلّقت فاطمة بعلىّ وحالت دون مجيئه، فافصلوها عنه؛ فلهذا فصلوا فاطمة بهذا الأُسلوب، وأخذ عمر سيف علىّ ورماه، وأوكل أمره إلى خالد بن الوليد ليقتاده إلى المسجد بمؤازرة أعوانه. وامتنع أميرالمؤمنين من الذهاب إلى المسجد ؛ فدفعوه بقبضاتهم حتَّي أوصلوه. [35]

الخلفاء المنتخبون بعد رسول الله مدانون في محكمة التأريخ

فهذه أحداث نقلتها لنا كتب التأريخ، ويا ليتها كانت مثبّتة في تأريخ الشيعة وحدها حتّي يتسنّي إزالة وصمة العار من جبين جناتها إلى حدّ ما، فتواريخ العامّة مشحونة بها، وكلّ من نظر في « تاريخ الطبريّ » وابن الاثير، و « الإمامة والسياسة » لابن قتيبة، و « شرح النهج » لابن أبي الحديد، وغيرها، يجدها حافلة بهذه المصائب التي حلّت بالإسلام .

ولمّا كان واضحاً كالشمس في كبد النهار أنَّ العامّة أ لّفوا كلّ هذه الكتب وتمسّكوا بالآراء الفاسدة والاهواء الكاسدة في الأُصول والفروع، حفظاً للحكومات الاستبداديّة التي انتهت بالحكومة الامويّة والعبّاسيّة، واستعبدت الناس وأخضعتهم لقبضتها الحديديّة، وبسطت نفوذها الفرعونيّ بأعنف الاسإليب السلطويّة طيلة ستّة قرون باسم الإسلام والقرآن وتحت غطاء الخلافة الإسلام يّة . وإليوم حيث أُطيح بالحكومات الاستبداديّة القائمة على مثل تلك الدعامة الفرعونيّة التي أرساها الاوّلون، فمن المناسب أن يغيّروا خطّهم بالرجوع إلى التأريخ الصحيح، ولايغالطوا أكثر من ذلك، ويتركوا التعسّف في تبرير وتأويل الاحاديث الصحيحة التي زخرت بها كتبهم كحديث الثقلين، والغدير، والعشيرة، والولاية، والمنزلة، وكثير من الاحاديث الأُخري، ويرفعوا الستار عن الحقائق، ويجمعوا على عدم فصل سبيل الشريعة عن سبيل الولاية في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبويّة، ويختاروا المذهب الجعفريّ المقدّس.

وإنّي أُشهد الله أنَّ نصيحتي هذه هي نصيحة الشفيق المخلص الذي سبر غور الكتب سنيناً من عمره، وبحث ونقّب وحقّق ودقّق حتّي ظفر باللباب، وها هو يسعي بإخلاص لتقديم ما ظفر به إلى الإخوة الاعزّاء من شباب العامّة الذين ليس لهم علم بهذه الأُمور، حتّي يتأ لّق نور الحقيقة في قلوبهم بحول الله وقوّته، وأن يتّبعوا مذهب أهل البيت، ذلك المذهب الحنيف الحقّ والسبيل القويم للولاية العلويّة بمجرّد قراءة هذه السطور. وَفَّقَهُمُ اللَهُ جَمِيعَاً وَهَدَاهُمْ إلى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ وَمَنْهَجِهِ القَوِيمِ، آمِينَ يارَبَّ العَالَمِينَ.

قال سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من خطب « نهج البلاغة »: زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ. لاَيُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّي اللَهُ عليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولاَيُسَوَّي بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نَعْمَتُهُمْ عليهِ أَبَدَاً . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ إليقِينِ؛ إليهِمْ يَفِيءُ الغالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ. الآنَ إذْ رَجَعَ الحَقُّ إلى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إلى مُنْتَقَلِهِ. [36]

نري في هذه الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في أوّل خلافته، أنّه يؤكّد على أنَّ أيّ فرد من أفراد الأُمّة المسلمة لايمكن أن يوازَن بأهل البيت النبويّ الكريم . وبعد أن يسرد صفاتهم وآثارهم، يركّز على أنَّ الحقّ قد آبَ إلى أهله، وعاد إلى نصابه.

ألم تصرّح هذه الفقرات بلزوم اجتماع النبوّة والخلافة في بيت بني هاشم ؟ ثمَّ ألم تنصّ على فساد الاوضاع في عصر من سبقه من الحكّام، وقد تحسّنت في عهده ووقرت على أساس صحيح ؟

أوَ لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام جامعاً لبيت النبوّة والخلافة ؟

وقال عليه السلام في الخطبة السادسة من خطب « نهج البلاغة »: وَاللَهِ لاَأَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ على طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّي يَصِلَ إليهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلُهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إلى الحَقِّ المُدْبَرِ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ المُطِيعِ العَاصِيَ المُرِيبَ أَبَدَاً حَتَّي يَأْتِيَ علىَّ يَوْمِي . فَوَاللَهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعَاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرَاً علىَّ مُنْذُ قَبَضَ اللَهُ نَبِيَّهُ صَلَّي اللَهُ عليهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ حَتَّي يَؤُمَّ النَّاسَ هَذَا. [37]

ينصّ الإمام صلوات الله عليه في هذه الخطبة على أنَّ الخلافة كانت حقّه منذ وفاة الرسول الاعظم صلّي الله عليه وآله .

وقال رونالدسن في كتاب له نُقل إلى العربيّة: وَيَرْوِي أَحْمَدُبْنُ حَنْبَلٍ أَنَّهُ بَعْدَ مَقْتَلِ علىٍّ، خَطَبَ الحَسَنُ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: لَقَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الاَوَّلُونَ بِعَمَلٍ، وَلاَ يُدْرِكُهُ الآخِرُونَ بِعَمَلٍ، وَقَدْ نَصَبَهُ رَسُولُ اللَهِ. [38]

ثمّ قال: وَقَدْ نَاقَشْنَا صِحَّةَ هَذِهِ القَضِيَّةِ آنِفَاً . بَيْدَ أنَّ هذه المناقشة لاتضرّ بقصدنا المتمثّل بنقل رواية أحمد بن حنبل وكلام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، لانّها تعكس رأيه الخاصّ ولا تمتّ بصلة إلى الرواية.

فهذا عدد من الاحاديث التي تدلّ على اجتماع النبوّة والخلافة في بيت بني هاشم . وكلّ من نظر في كتب التأريخ والحديث الموثوقة، فسيجدها زاخرة بمسائل تعضد هذا الموضوع.

بطلان لزوم عدم الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد عقلاً

وأمَّا العقل: أي حكم العقل ببطلان لزوم عدم الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد . فنقول: يحكم العقل بأنَّ كلّ من يستطيع أن يدير شؤون الأُمّة أفضل من غيره، وكان أخلص وأشجع وأكثر تحمّساً وإيثاراً، وأعلم، وأعرف بمبادي الاحكام والشرائع والسنن والآداب، وتوحيد ذات الحقّ المتعال، وكان متحرّراً من هوي النفس، وملتحقاً بكلّيّة مقام الإطلاق والتجرّد، وكان أعرف من غيره بعالم الانوار، هذا من جهة، ومن جهة أُخري، كان أكثر بصيرة وخبرة بالمصالح الاجتماعيّة من غيره، فهذا الشخص ينبغي أن يكون الامير المطاع ورئيس الأُمّة وقائدها بلاترديد، وتجري شؤون الأُمّة بمشورة الكبار، وأهل الحلّ والعقد، ويُستهدَي عند اتّخاذ القرار برأيه الحصيف، وذهنه الرائق، وروحه النقيّة، وعلمه العظيم، ويُؤْثَر رأيه على آراء الآخرين، ويُجْعَل مصدراً للامر والنهي، والسلم والحرب، والسكون والحركة، وغير هذه الاشياء . ولا فرق في هذا الحكم العقليّ أن يكون ذلك الشخص من بيت شعّ فيه نور النبوّة، أم من غيره، فالميزان هو الاعلم، والاكثر معرفة، والاشجع الاورع، والافقه، والاكثر بصيرة بالأُمور، والاحرص على شؤون الأُمّة والمحافظة عليها من صروف الدهر، واقتيادها نحو الكمال المعنويّ والروحيّ، وطيّ المعارج والمراقي الإنسانيّة، ورعاية الشؤون الاجتماعيّة، وجعل الناس يتمتّعون بالنعم الإلهيّة الموهوبة . وفي هذه الحالة لو توفّرت هذه كلّها في شخص عاش في بيت أشرق فيه نور النبوّة، كأمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين فإنَّ العقل يقضي بلزوم إمارته وحكومته وخلافته ؛ أمّا إذا لمتتوفّر في شخص عاش في بيت النبوّة كابن نوح نبيّ الله على نبيّنا وآله وعليه صلوات الله فالعقل لا يقضي باتّباع من حاز تلك الشروط والكمالات.

وعندما نري أنَّ علىّ بن أبي طالب يُقصي من القيادة بسبب المناقب والفضائل التي كانت عنده، لا المثالب والمساوي التي يتنزّه عنها، ويقول أقطاب المعارضة أيضاً إنَّه أحقّ من غيره بالخلافة بعد رسول الله، إلاّ أنّ قريشاً كرهت اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد، وإنَّ علياً كان معروفاً بحبّه بني عبد المطّلب، أو إنَّه كان حَدَثَاً، فإنَّ أُولئك المتقوّلين قد تصرّفوا خلاف حكم العقل ومصالح الأُمّة . ومع وجود الاعلم والاورع والاتقي والاشجع والاعرف بكتاب الله وسنّة نبيّه، لكنّهم سلّموا زمام الأُمور إلى من هو دون علىّ باعتراف الصديق والعدوّ، وبمراجعة التأريخ الصحيح.

ومن الواضح في هذه الحالة أنَّ الأُمّة الإسلام يّة لمتواصل تصعيد مستواها، بل انحدرت وهوت لانّه « ما ولّت أُمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سَفالاً حتّي يرجعوا إلى ما تركوا » . [39] ونحن نلاحظ أنَّ تقدّم الإسلام بعد النبيّ لم يلمس إلاّ في أُمور ظاهريّة كفتح البلدان؛ بينما لو فُوّضت شؤون الأُمّة إلى أمير المؤمنين عليه السلام لسارت الفتوحات بنحو أفضل، وكانت قرينة بالمعنويّات والدعوة إلى الله، مستضيئة بسيرة النبيّ الاكرم، ولو تحقّق ذلك لما استبدلت السلطة بالخلافة، ولاستمتع الناس بالإسلام الحقيقيّ حتّي يوم القيامة . بَيْدَ أنّه لمّا تغيّر مجري الدعوة، وانحرف مسير التبليغ، ولم يذق الناس طعم الإسلام الحقيقيّ ومعنويّته ومساواته ومواساته وإيثاره وعدم تفريقه بين الاجناس والقبائل، لذلك ظلّ الناس على سيرتهم الأُولي من البهيميّة والشرك، وتأخّر موكب الإسلام عن التطوّر والتوحيد والعدل، وأُجّل ذلك إلى عصر الإمام المهديّ قائم آل محمّد الحجّة بن الحسن العسكريّ أرواحنا له الفداء وعجّل الله تعإلى فرجه الشريف .

وما هم إلاّ أتباع أهل البيت الشيعة الذين يتواجدون هذا إليوم في أنحاء العالم، وعددهم ملحوظ بين المسلمين، استطاعوا أن يقيموا حكومة مستقلّة ببركة دماء سيّد الشهداء عليه السلام وجهود صادق آل محمّد عليه السلام، وسائر الائمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، إذ إنَّ كلّ إمام ـبدوره ـ يبذل قصاري جهوده في سبيل إيصال حقيقة الولاية، وذلك بغية إحياء الارواح وإبقاء مدرسة التشيّع منفتحة نابضة بالحياة، فلهذا نلحظ منذ ذلك الزمان حتّي يومنا هذا أنَّ عدد أتباع أهل البيت الشيعة في تصاعد وتزايد، وعدد غيرهم من أتباع المذاهب الأُخري في تنازل وتناقص، وما هذا إلاّ بسبب سريان الولاية في قلوب الناس، وإدراك معناها الحقيقيّ على حسب الظروف، وبالتناسب مع استعدادات الناس في كلّ زمان.

وكلاّ، فإنَّ نتيجة هذا البحث العقليّ هي أنَّ كلام عمر الذي جاء في مواطن مختلفة، واعترف هو بنفسه بصراحة إذ قال بأنَّ سبب إقصاء أميرالمؤمنين عليه السلام عن الخلافة هو كراهة اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد هو كلام مبتذل ولا يرتكز على حجّة شرعيّة، ولايقوم على حكم عقليّ، وإنَّما هو كلام موضوع مختلق أملته الاهواء، وغذّاه الهَوَس. وهو مدان شرعاً وعقلاً.

ارجاعات

---

[1] ـ الآية 128 ، من السورة 9 : التوبة .

[2] ـ يقول : «إنَّ المسافة من عالم العشق إلي عالم الصبر ألف فرسخ» (أي : شاسعة جدّاً).

[3] ـ يقول : «لا تقس عمل الصالحين بعملك ، فكلّ ما هو موجود تشابه شكليّ ظاهريّ» [جاء في عجز البيت ما تعريبه : فكلّ ما هو موجود يكمن في كتابة (شير) (شير) والأُولي تعني الاسد والثانية تعني الحليب . وقصد الشاعر هنا التشابه فقط في الكتابة ولكنّهما مختلفان في المعني والحقيقة [.

[4] ـ «شرح نهج البلاغة» ج 1 ، ص 221 و 222 ضمن شرح الخطبة الخامسة ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

[5] ـ «تاريخ الطبريّ» ج 3 ، ص 209 ، طبعة دار المعارف بمصر ؛ و «الكامل في التاريخ» ج 3 ، ص 326 ، طبعة بيروت ، سنة 1385 ه . ونقل البيت الثاني في هذين الكتابين هكذا: مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ .

[6] ـ «الاءمامة والسياسة» ص 6 ؛ و «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 160 و 161 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

[7] ـ «الاءمامة والسياسة» ص 12 .

[8] ـ «نهج البلاغة» الخطبة الخامسة .

[9] ـ الآية 83 ، من السورة 28 : القصص .

[10] ـ «نهج البلاغة» الخطبة الثالثة . ونقل هذه الخطبة كاملة أيضاً أُستاذ الشريف الرضيّ وشيخه: الشيخ المفيد في «الاءرشاد» ص 159 و 160 ، الطبعة الحجريّة . وكذلك ذكرها المرحوم الصدوق في «معاني الاخبار» ص 360 إلي 362 . [11] ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ج 11 ، ص 113 .

[12] ـ «الاءمامة والسياسة» ص 9 .

[13] ـ يمكن أن تقرأ هذه الجملة : فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ بصيغة المجهول. ويمكن أن تقرأ أيضاً بصيغة المعلوم .

[14] ـ «غاية المرام» القسم الثاني ، ص 552 ، الحديث الاوّل من الباب الرابع والخمسين.

[15] ـ جاء في «معجم البلدان» : الخال أيضاً موضع في شِقِّ اليمن . ولمّا كانت الابراد اليمانيّة المنسوجة هناك أفضل وأجود من غيرها ـ علي ما يبدو ـ لهذا جاء بُرد الخال في الشعر.

[16] ـ نقل ابن أبي الحديد هذه القضيّة كما يلي : روي ابن عبّاس مرفوعاً أنّه قال: تفرّق الناس ليلة الجَابِية عَن عمر ؛ فسار كلّ واحدٍ مع إلفه ؛ ثمَّ صادفتُ عمر تلك الليلة في مسيرنا، فحادثته ؛ فشكي إليَّ تخلّف عليّ عنه . فقلتُ : ألم يعتذر إليك ؟ قال : بلي. فقلتُ: هو ما اعتـذر به ؟ فقال : يا بن عبّاس ، إنَّ أوّل مَن رَيَّثكـم عن هـذا الامر أبو بكر ؛ إنَّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة ! قلتُ : لِمَ ذاك يا أمير المؤمنين ؟! ألم تنلهم خيراً؟ قال: بلي ، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جَحْفَاً جَحْفَاً («شرح النهج» ج 2 ، ص 57 و 58).

[17] ـ «تاريخ الطبريّ» تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ج 4 ، ص 222 ، طبعة دار المعارفـ مصر، و ج 3 ، ص 288 طبعة مطبعة الاستقامة ـ القاهرة .

[18] ـ الآية 9 ، من السورة 47 : محمّد ؛ والآية التي قبلها: وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ .

[19] ـ إذا كانت من باب فَرَّ يَفُرُّ فَرَّاً وَفَرَارَاً وَفِرَارَاً وَفُرَارَاً ، كَمَدَّ يَمُدُّ وتعدّت بعن،فهيبمعني البحث، ويمكن أن تكون من مادّة فَرَكَ والكاف ليست ضمير المفعول. و فرّك من باب التفعيل للمبالغة . بيد أنَّ ابن الاثير ذكرها بالقاف : أُقِرّك . وَأَقَرَّ يُقِرُّ إِقْرَارَاً من باب الاءفعال إذا استعملت مع الباء ، فهي بمعني الاءذعان والاعتراف . أُقِرّك بها : أكره أن أدفعك إلي الاءقرار بها.

[20] ـ «تاريخ الطبريّ» تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ج 4 ، ص 222 إلي 224 ، طبعة دار المعارف بمصر ؛ و ج 3 ، ص 288 إلي 290 طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ و«الاءيضاح» للفضلبن شاذان ، ص 166 إلي 171 ، رقم 1347 ، طبعة جامعة طهران . ذكر ذلك برواية فقهاء المدينة ، وذكر في آخرها أنَّ ابن عبّاس قال : مَا زِلْتُ أَعْرِفُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ حَتَّي هَلَكَ .

ونقل ابن أبي الحديد هذه القصّة في «شرح نهج البلاغة» عند بيان سيرة عمر، وذلكفي الجزء الثالث من طبعة مصر سنة 1329 ه ، ص 107 برواية عبد اللّهبن عمر. وذكرها ابن الاثير في ترجمة عمر ، ج 3 ، ص 24 ، أحداث سنة 23 . ونقلها السيوطيّ في ترجمة زهيربن أبي سلمي ضمن «شرح شواهد مغني اللبيب» مع تعليقة الشنقيطيّ ، ج 1 ، ص 132 ، طبعة لجنة التراث العربيّ ، وذلك نقلاً عن «الاغانيّ» عن سعيد بن المسيّب. وقال السيوطيّ في ص 131 : زهير بن أبي سلمي بضمّ السين . وليس في العرب سُلمي بالضمّ غيره. واسم أبي سُلمي: ربيعة بن رِياح .

ونقل ابن أبي الحديد في آخر هذه القصّة : لمّا قام عبد الله بن عبّاس ومضي، قال عمر لجلسائه: وَاهَاً لِابْنِ عَبَّاسٍ ! مَا رَأَيْتُهُ لاَحَي أَحَدَاً قَطُّ إلاَّ خَصَمَهُ .

[21] ـ «العقد الفريد» ج 3 ، ص 77 ، الطبعة الأُولي ، سنة 1331 ه ؛ وطبعة مكتبة النهضة المصريّة، ج 4 ، ص 280 .

[22] ـ «تاريخ ابن خلدون» ج 3 ، ص 171 .

[23] ـ «تاريخ التمدّن الاءسلاميّ» لجرجي زيدان ، ج 1 ، ص 53 . والشاهد علي كلام جرجي زيدان، خطاب عمر لابن عبّاس في الحديث الذي نقلناه أخيراً عن الطبرسيّ. ووفقاً للعبارة التي أوردها ابن أبي الحديد في ج 3 من «شرح نهج البلاغة» ص 107 ، طبعة مصر سنة 1329 ه، ضمن كلام عمر لابن عبّاس : كَرِهَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَجْتَمِعَ لَكُمُ النُّبُوَّةُ وَالخِلاَفَةُ فَتَجْحَفُوا النَّاسَ جَحْفَاً ، فَنَظَرَتْ قُرَيْشٌ لِنَفْسِهَا فَاخْتَارَتْ ، وَوُفِّقَتْ فَأَصَابَتْ.

فقال ابن عبّاس : وأَمَّا قَولُكَ : إنَّا كُنَّا نَجْحَفُ ، فَلَوْ جَحَفْنَا بِالخِلاَفَةِ ، جَحَفْنَا بِالقَرَابَةِ وَلَكِنَّا قَوْمٌ أَخْلاَقُنَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ خُلْقِ رَسُولِ اللَهِ الَّذِي قَالَ اللَهُ تَعَالَي لَهُ : «وَإِنَّكَ لَعَلَيٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ». وَقَالَ لَهُ : «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

إلي أن قال له عمر : عَلَي رِسْلَكَ يَا بْنَ عَبَّاسٍ ! أَبَتْ قُلُوبُكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إلاَّ غِشَّاً فِي أَمْرِ قُرَيْشٍ لاَ يَزُولُ ، وَحِقْدَاً لاَ يَحُولُ . فقال ابن عبّاس بعد الاستشهاد بآية التطهير: وَأَمَّا قَوْلُكَ حِقْدَاً ، فَكَيْفَ لاَ يَحْقِدُ مَنْ غُصِبَ شَيْئُهُ وَيَرَاهُ فِي يَدِ غَيْرِهِ؟ ... إلي آخره.

[24] ـ الآية 54 ، من السورة 4 : النساء .

[25] ـ «حلية الاولياء» ج 1 ، ص 64 ؛ و «كفاية الطالب» ص 67 طبعة النجف.

[26] ـ «حلية الاولياء» ج 1 ، ص 64 ؛ و «كفاية الطالب» ص 67 طبعة النجف.

[27] ـ «شرح نهج البلاغة» تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ج 2 ، ص 55 ، ضمن شرح الخطبة 26 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ؛ و «صحيح مسلم» ج 3 ، ص 1259 ؛ و«الطبقات» لابن سعد، ج 2 ، ص 244 ، طبعة بيروت ، سنة 1376 ه . ونقل سليم بن قيس الهلاليّ هذا الحديث في كتابه ، ص 209 و 210 كالآتي : قال سُليم : إنِّي لعند عبد الله بن عبَّاس في بيته وعنده رهط من الشيعة ، فذكروا رسول الله صلّي الله عليه وآله وموته ، فبكي ابن عبّاس وقال: قال رسول الله صلّي الله عليه وآله وسلّم يومَ الاثنين وهو اليوم الذي قبض فيه وحوله أهل بيته وثلاثون رجلاً من أصحابه : إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لن‌تضلّوا بعدي ولاتختلفوا بعدي. فقال رجلٌ منهم : إنَّ رسول الله يهجر . فغضب رسول‌الله صلّي‌الله عليه وآله وسلّم وقال : إنّي أراكم تختلفون وأنا حيٌّ فكيف بعد موتي! فترك الكتف.

وقال ابن أبي الحديد بعد عرض هذا الحديث بالعبارة التي ذكرناها : هذا الحديث قد خرّجه الشيخان محمّد بن إسماعيل البخاريّ ، و مسلم بن الحجّاج القشيريّ في صحيحيهما؛ واتّفق المحدّثون كافّة علي روايته.

[28] ـ إنَّ الروايات التي ضمّت كلام عمر : لا تأتوه بشيء فإنّه قد غلبه الوجع ، جاءت في كتاب «الامالي» للشيخ المفيد ، بسنده المتّصل ، ص 36 و 37 ؛ وفي «بحار الانوار» ج 6 ، ص 787 نقلاً عن «الامالي» . وأمّا قول عمر : إنَّ الرَّجُلَ لَيَهْجُرُ ، عن ابن عمر في غير كتاب الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» ، («مسند البخاريّ» و «مسند أحمد») وبلفظ : مَا شَأْنُهُ هَجَر من كتاب الحميديّ ، نقله السيّد ابن طاووس في «الطرائف» ، ونقله المجلسيّ عنه في «بحار الانوار» ج 8 ، ص 274 . وذكر المجلسيّ الاخبار في هذا الباب من كتب العامّة في موضعين: الاوّل : في سيرة الرسول الاعظم ووصيّه ، ج 6 ، ص 787 . الثاني : في كتاب الفتن الواقعة بعد الرسول في باب مثالب عمر

في الطعن الاوّل ، ج 8 ، ص 273 و 274 ، ثمّ فصّل في هذا الموضوع الذي استغرق عدداً من الصفحات . وقال في ج 6 : خبر طلب رسولالله الدواة والكتف ومنع عمر من ذلك مع اختلاف ألفاظه متواتر بالمعني . وأورده البخاريّ آ آومسلم وغيرهما من محدّثي العامّة في صحاحهم . وقد أورده البخاريّ في مواضع من صحيحه، منها في الصفحة الثانية من مفتتحه . وقال : وكفي بذلك له كفراً وعناداً، وكفي به لمن اتّخذه مع ذلك خليفة وإماماً جهلاً وضلالاً . وقال في ج 8 ، ص 274 : قال السيّد رضيّالدينبن طاووس في كتاب «الطرائف» : ومن أعظم طرائف المسلمين أنّهم شهدوا جميعاً أنَّ نبيّهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتاباً لا يضلّون بعده أبداً ، وأنَّ عمربن الخطّاب كان سبب منعه من ذلك ، وسبب ضلال من ضلّ من أُمّته ، وسبب اختلافهم وسفك الدماء بينهم، وتلف الاموال واختلاف الشريعة ، وملاك اثنتين وسبعين فرقة من أصل فرق الاءسلام، وسبب خلود من يخلد في النار منهم . ومع هذا كلّه فإنَّ أكثرهم أطاع عمربن الخطّاب الذي قد شهدوا عليه بهذه الاحوال في الخلافة ، وعظّموه ، وكفّروا بعد ذلك مَن يطعن فيه!

[29] ـ «الطبقات الكبري» لابن سعد ، ج 2 ، ص 242 .

[30] ـ «تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 436 ؛ و «البداية والنهاية» ج 5 ، ص 227 ؛ و«الكامل في التاريخ» ج 2 ، ص 217 ؛ و «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 133 ، الطبعة ذات الاربعة أجزاء.

[31] ـ «شرح نهج البلاغة» ج 2 ، ص 58 ، ضمن الخطبة 26 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة.

[32] ـ يَنْبُع ـ بفتح الياء وسكون النون وضمّ الباء الموحّدة وعين مهملة ـ موضع عامر فيه ماء وشجر وزرع . وهي عن يمين رَضْوَي لمن كان منحدراً من المدينة إلي البحر. علي ليلة من رضوي ؛ من المدينة علي سبع مراحل . («معجم البلدان») .

[33] ـ «شرح نهج البلاغة» ج 2 ، ص 57 ، ضمن الخطبة 26 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة.

[34] ـ فَلْتَة : الامر يقع فجأة من غير تدبّر وإحكام .

[35] ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 56 و 57 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة.

[36] ـ «نهج البلاغة» ص 30 ، الخطبة الثانية ، محمّد عبده ، مصر .

[37] ـ «نهج البلاغة» ص 41 و 42 ، الخطبة السادسة ، نسخة محمّد عبده ، مصر. وجاء في شرح محمّد عبده : حَتَّي يَؤُمَّ النَّاسَ هَذَا . أمّا في «شرح ابن أبي الحديد» ، و«شرح الملاّ فتحالله الكاشانيّ» ، فقد جاء حَتَّي يَومِ النَّاسَ هَذَا .

[38] ـ كتاب «عقيدة الشيعة» ص 84 ، طبعة مطبعة السعادة ، مصر ، سنة 1365 ه.

[39] ـ هذا الكلام من خطبة للاءمام الحسن المجتبي عليه السلام في مجلس معاوية، إذ رقي عليه السلام المنبر ، وذكر مناقب أهل البيت وفضائلهم ، وألقي هذه الخطبة البليغة التي جاء فيها: وقد قال رسول الله صلّي الله عليه وآله وسلّم : مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلاً وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إلاَّ لَمْ يَزَلْ أَمْرَهُمْ يَذْهَبُ سَفَالاً حَتَّي يَرْجِعُوا إلَي مَا تَرَكُوا («أمالي الشيخ الطوسيّ» ج 2 ، ص 172 ، طبعة النجف ؛ و «غاية المرام» القسم الاوّل ، ص 298 ، الحديث 26 . ونقل مثل هذه العبارة أيضاً في الحديث 27 بسند آخر) .